

هناك على حسب اعتبارهم لكان القوم اعلى من رتبة الناس ولكن تلك المدنية كما قلنا انما هي مدنية صورية وانت لاتصل الى طرف من صريحها حتى تخوض اليه اطرافاً من الرغوة الفارغة والزبد الكاذب . ونعم ان باريز وامثالها كما قلنا فيما مضى يجمع الفضائل ومنبعث الحكمة والرشاد ولكن ذلك من الافراد المشتغلين به واللائذين اليه وليس هو من مجموع الشعب وكل فيه بل ان ارباب الفضل انفسهم في تلك البلاد قد عرفوا ما في مدنها العظمى من مبعثات المدنية الحقيقية والتهديب السحيق ولذلك اقصوا اولادهم عنها ما استطاعوا وجعلوهم حيث يتعلمون العلم فقط لا سواه ومن شاء الدليل على ان المدنية الصحيحة لاتكون في المدن الكبرى فلي نظر الى اكابر العالم ورجال العقل والسداد فيه يجد اكثرهم بل كلهم من اهل القرى والمزارع ولدينا الآن جماعة من قواد الفضائل والعلوم فينا لو بحثنا عن اصولهم ومنابت اعراسهم لوجدناهم كلهم من غير اهل المدن واذا اتفق ان كان احدهم ابن مدينة فذلك انما يكون منها وكأنه ليس فيها

وعلى الاطلاق فان مدينة الغرب ليست في درجة النفع التي يتصورها الكثيرون من بني الشرق بل هي مدنية قد اشتد بياضها حتى صار برصاً ولذلك اخذت الطبيعة ترجع بهم الى مستقرها الذي نفروا عنه ونحن بني الشرق بين رجال ونساء اذا احببنا التشبه بالغربيين فليكن ذلك منا في تقليد الحالة التي يهيمون بالرجوع اليها وليس في الحالة التي صاروا فيها او اني اقدموا عليها وانا متى جرينا على ذلك فقد امانا الشر والضرر ورحم الله من رأى العبرة في غيره فاعتبر

﴿فائدة التنبيه﴾

ان مساواة علم المرء لبصره في كل ما يعرض له من المنظورات لمن الحالات التي لاتنتهي لانسان وذلك لما في الدنيا من كثرة الموجودات ولما لكل موجود من الحالات الخاصة به ولكن بكثرة ذلك وقلته تتباين مراتب الناس في العقول والافهام فترى البعض اذا نظروا الى شيء عرفوا في الحال حقيقة ماهو فالتقى نظرهم وعلمهم ممّا ترى الكثيرون تبدو لهم الصور فلا يرونها الا رؤية مجردة فقط دون ان يكون لها من اذهابهم اقل اشتغال وهذا التباين ليس كله بالطبيعي في الانسان فيخلق فلان اذا رأى شيئاً علم ماهو وفلان يراه دون ان يعلم منه شيئاً بل هو يحصل من الاجتهاد وتطلب المعرفة ومن تقيضيها الخمول وعدم المبالاة والاستبصار ولكن لو عود كل انسان منذ صغره ان يتنبه لكل ما يبصره لكان على علم كثير من حقائق عديدة ينفعه العلم بها دون ان يتكلف ان يحصلها شيئاً من العناء

ولقد يقال ان منظورات الوجود لاتحصى ومحال ان يتنبه لكل انسان اذا رأى شيئاً ان يوكل به ذهنه ليدري حقيقة . ونعم ان الموجودات لاتعد ولكن شتان بين من ينظر ويدري بعض مناظر وبين من ينظر ولا يدري مما نظر شيئاً ولذلك كان الاولى بكل انسان ان يجيل بعض فكره حيث يجيل كل بصره فانه يستفيد من مجموع هذه الحقائق الجزئية فائدة تعمينه عوناً كبيراً في اثناء الحياة

على انه ليس شرطاً على كل انسان اذا رأى شيئاً ان يوجه اليه ذهنه حتى

يدريه فانه قد يبدو لنا الزجاج مثلاً فنراه دون ان نعلم منه شيئاً واذا اردنا ان ندري ما هو وكيف كان ورب فقد صار الناسنا ذلك من قبيل التعلم وليس من قبيل التنبه الذي نشير اليه وكذلك فاننا نرى الشمس والقمر والكواكب واكثرنا لا يعلم من كنهها شيئاً ولكن ذلك لا يطالب به ولا يعد تقصيراً منا اذا رأيناها ولم نعلم به بل التقصير يكون حيث نرى ولا تنبه لما رأينا فان الشمس تكسف والقمر يخسف واكثرنا لا ينظر اليها الا كما ينظر الى الشمس غاربة والقمر ملتصقاً بالسحاب مع ان حالي الكسوف والخسوف ليستا من الاحوال التي تعرض كل يوم حتى لا يشتغل بها الا النظر فقط دون الفكر

ولا يظن احد ان هذا الشأن جزئي وان اغفاله وعدم التنبه فيه ليس بالامر الكبير بل هو كبير بالاضافة الى مجموع تلك الحقائق الكثيرة حين تعلم وكبير جداً حين يكون الاحتياج الى معرفة بعضها ضرورياً لدى الانسان فانت ترى الواحد منا يبدو لنظره الشيء ويتفق ان يكون قد جال فكره فيه مع نظره فيقف لديه حائراً متأملاً لما بدا له من بعض خفاياه مع ان ذلك الشيء يكون لديه كل حين بل في كل ساعة ولكنه لم يتعود التنبه اليه بل هذه الساعة الآلية فاننا نحملها في جيوبنا على الدوام ونفتحها كل يوم مراراً عديدة ولكن ندر جداً من يتنبه الى ساعته او يدري شيئاً من ادنى خفاياها التي يجب ان تعلم بل هذه النقود وهي بين ايدينا على الدوام (ان شاء الله) ونحن على كثرة تقدينا للدراهم لنعرف زيفها من صحتها فانه قل من يتنبه الى شيء من كيفية الدرهم بل كثيرون منا لا يدرون طفراده ولا يعرفون المكتوب فيه بحيث لو لم يكن لدينا درهم مصري مثلاً وطالب منا غريب ان

نبين له كيفية درهم بلادنا لا عجزنا ذلك لاننا لم نتنبه من قبل الى الدرهم حتى يرتسم شكله في ذهننا وقس على هذه الجزئيات كثيراً مثلاً تران في جبل بعضها تقصيراً لا يفتقر وقد جاء كله من عدم التنبه فقط دون اعواز شيء قط من علم او حسن نظر وتبصر

ومما قد يعرفه القراء متملقاً بهذا الشأن ان مصوراً ماهراً صور سنبله مستوية على ساقها وقد وقع عليها عصفور فجاءت صورة في غاية الاتقارن وحسن الصنعة فعرضها على اهل فنه وذوي علمه فاقبلوا عليها يوسعونها نقداً حتى اطمانت لدى انظارهم على اتم ما يكون وكان حكمهم انه لا عيب فيها ثم بينا هم كذلك اذ مر بهم فلاح فقال لهم انها ذات عيب يفسد كل حسناتها واتقانها وذلك لان العصفور واقع على السنبله ثم هي قائمة مستوية وهذا محال بل لا بد لها ان تنحني قليلاً من ثقل العصفور فبهت السامعون لانتقاده المصيب واسقط في يد المصور لعدم تنبهه الى هذه الحالة البسيطة مع انه ولا شك قد نظر مئات من السنابل قبل ان يصور سنبلته ورأى عصافير كثيرة تقع عليها

ومن قبيل ذلك ان صانعاً اراد صنع تمثال لديك يصيح وكانت هيئة الديك مصورة في ذهنه لكثرة ماراه ولكنه لم يكن يدري هل يبدي الديك لسانه حين يصيح اولا وكان في معمله جمهور عديد من الصانع فسألهم كلهم عن هذه الحالة فما عرفها احد وعجبوا جداً لانهم ما عرفوها على طول رؤيتهم الديك صائحاً ولذلك اضطر ان يقضي مدة طويلة يبحث فيها عن ديك يصيح حتى اتم عمله

ولقد تنبه الى هذا الشأن احد المعلمين فاراد ان يمتحن تلامذته فيه ليري

مبلغ تنبهم الى المنظورات فسألهم عن اذني البقرة هل تكونان من امام او وراء او فوق وكان التلامذة مئة فما اجاب بالصحيح منهم الا اثنان فقط مع ان الجميع من اولاد القرى وقد رأوا البقر كل مدتهم وبذلك تبين له ان عدم التنبه انما يكون غالباً في الموجودات التي تبدو كثيراً للانظار حتى لا تهم ناظرها الا بجملة دون تفصيلها وهو اعتبار صحيح اذ كلنا كذلك

الا ان هذا النقص ليس بالمسير التلافي بل هو سهل ولا سيما لدى الاولاد فان الصغير الذي لا يشغل ذهنه لو اشير عليه بالتنبه في منزله او مدرسته لكل ما يبدو لعينه وحمل على ذلك حملاً بالامتحان والتجريب فانه يشب واعياً لاكثر الحقائق الخفية ولو كانت صغيرة حتى تكون له عوناً كبيراً في حالته المادية والادبية

وهذا الفصل الذي عقده الان وان كان جزئياً فانما هو من جملة تلك الجزئيات التي اشرنا اليها ولذلك ننبه انقارئنا لما فيه من الدعوة الى التنبه فانه يصبح غير جزئي حين اعتباره به كما ان تلك الجزئيات لو تنبها اليها لرأوا ان بعضها ينفعهم نفع الكمال حين حاجتهم اليه



الشعر المصري

٨

المقدمة

وفيما ذكرنا من حيث اخت عمرو بن ود متأمل الى ارتقاء ادب المرأة في المصور الخوالي وعلو هممتها وسمو رتبته فرعى الله هاتيك الفضائل العربية التي نبت نبعها بين تلك الصخور الجلامد فاينع وزكا واثمر كالذي ترى وقدماً قيل

والنبع يوجد بين الصخر منبته والنخل ينبت بين الماء والمجل
فلا يذهبن القاريء الكريم الى ما ذهب اليه البحثري فيقول ان النبع
ليس بثمر ولا يرين رأي ابى الملاء المعري رحمه الله اذ يقول مخطئاً ابا عبادة
وقال الوليد النبع ليس بثمر واخطأ سرب الوحش من ثمر النبع
كلا ان ذلك النبع الذي ذكرت انما كان ثمره هذه المحامد التي ترى
باهر سناها وتنشق عاطر شذاها وحسب هذه الشاعرة دليلاً على حسن
ادبها وكرم نفسها وسلامة ذوقها انها لم تقنع بكتمان حزنها على اخيها وابداء
شدة جلدتها لقتله ولكنها اخذت في مدح قائله والابانة عن فضائله كالذي
أثقل بفواضله واوقر بعطاياه ونوافله ومادلت بذلك الا على فضلها ولا
اشارت الا الى نخامة قدر اخيها فحي الله ذلك الادب العربي الشريف وسقي
هاتيك المعاهد الكريمة ولا بأس علينا اذا اوردنا هنا بعض ما رأينا من شعر
عمرو دلالة على ادبه واقdamه قال يدعو المسلمين الى البراز وهو في الخندق